حكايات ألف ليلة

14

المهرج الأحدب

بقلم : أ . عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ . إسماعيل دياب
إشراف : أ . حمدي مصطفى



يُحْكَى أَنَّ رجُلاً مِنْ بلادِ الصِّينِ كانَ يَعْمَلُ خيَّاطًا ..

ويُحْكَى أنَّ هذا الْخياطَ كانَ كثيرَ الرِّزْقِ ، مَيْسُورَ الْحالِ ..

وأنَّهُ كانَ يُحبُّ اللَّهْوَ والْمرَحَ ، وكلَّ ما يُزيلُ الْهَمَّ والنَّكَدَ ..

ويُحْكَى أَنَّ هذا الْخياطَ كانَتْ لهُ زَوْجَةٌ تُشارِكُهُ هذه الصِّفاتِ ..

فكانَ الْخياطُ يَقْضِى نَهارَهُ عامِلاً فى حَانُوتِهِ ، وفى الْمَساءِ يَخْرُجُ معَ زوْجَتِه يَجُوبانِ الطُّرُقَاتِ ، ويتَفرَّجانِ على الْمتنَزَّهاتِ ، فيضْحكَانِ مِنَ الظُّرفاء والمهرِّجينَ ، ويَعُودانِ سَعِيدَيْنِ مَسْرُورَيْنِ ..

هكَذا كانَتْ حيَاةُ الْخياطِ الْمَرِحِ وزَوْجَتِهِ ..

وذاتَ مَساءٍ ، خرجَ الْخياطُ وزَوْجَتُهُ ، كعَادَتِهِما للنُّزْهةِ ، فقَابلا فى طَرِيقِهِما مُهرِّجًا أحْدَبَ ضَئيلَ الْجسْمِ رُؤْيَتُهُ تُضْحِكُ الْمَهْمُومَ ، وتُزِيلُ الْحزنَ عَنِ الْمغْمُومِ ، فأخذا يتفَرَّجانَ عَلَيْهِ ، ويتحدَّثانِ إليْه ، وهمَا يضْحكانِ مِنْ قَلْبَيْهِما .. ثم تقَدَّمَ الْخياطُ إلى الْمهرِّجِ الأَحْدَبِ فقالَ لهُ :

ـ أَيُّهَا الْمهرِّجُ الظَّرِيفُ ، هلْ تأْتى مَعناَ إِلَى مَنْزِلنا لِتُضْحِكَنَا تلْكَ اللَّيلَة ، ونُعَشِّيكَ عَشاءً فاخِرًا ؟!



فوافَقَهُ المهرَّجُ قائلاً :

ـ مُوافِقٌ ، بشَرْطِ أَنْ يكُونَ الْعَشَاءُ سَمَكًا ..

فاشْتَرَى الْخياطُ سَمَكًا مَقْلِيًا ولَيْمونًا وخُبْزًا وحلْوَى ، وسارَ مع زَوْجَتِهِ والمهرَّجِ إلى الْبَيْتِ .. ثمَّ جلسَ الثَّلاثةُ يأْكُلُونَ ..

وأحَبَّتْ زوْجَةُ الخيَّاطِ أنْ تضْحكَ مِنَ الْمهَرَّجِ الأَحْدَبِ على الطَّعامِ ، فأمْسَكَتْ قِطعَةَ سَمكٍ كبيرةً ، ودَفَعَتْها إلى فم المهرِّجِ فسَدَّتْهُ قائلةً فى مَرَحٍ :

ـ لا بُدَّ أَنْ تبْتَلعَ هذه القطْعَةَ منَ السَّمكِ مرَّةً واحِدَة ، ودُونَ أنْ تَمْضُغَها ..

فأَطاعَ الْمـهـرجُ الْمِسْكينُ أَمْرَ زوْجَـةِ الْخـيَّـاطِ ، وحـاولَ ابْتِلاعَ قطْعَةِ السَّمَكِ ، لكنْ يَبْدُو أَنَّ قِطعَةَ السَّمكِ كانَ بها شَوْكَةٌ قوِيَّةٌ ، فانْحَشَرتْ فى حَلْقِهِ ، وسَدَّتْ نفَسَهُ ..

وهكذا سَـقَطَ المهرِّجُ المِسْكينُ مَـيِّـتًـا .. وهكذَا انْقَلبَ الضَّـحِكُ والْمَرحُ والسُّرورُ فى مَنْزِلِ الْخياطِ إِلَى غَمٍّ وحُزْنٍ وَخَوْفٍ ..

وقالَ الْخيَّاطُ لِزَوْجَتِهِ :

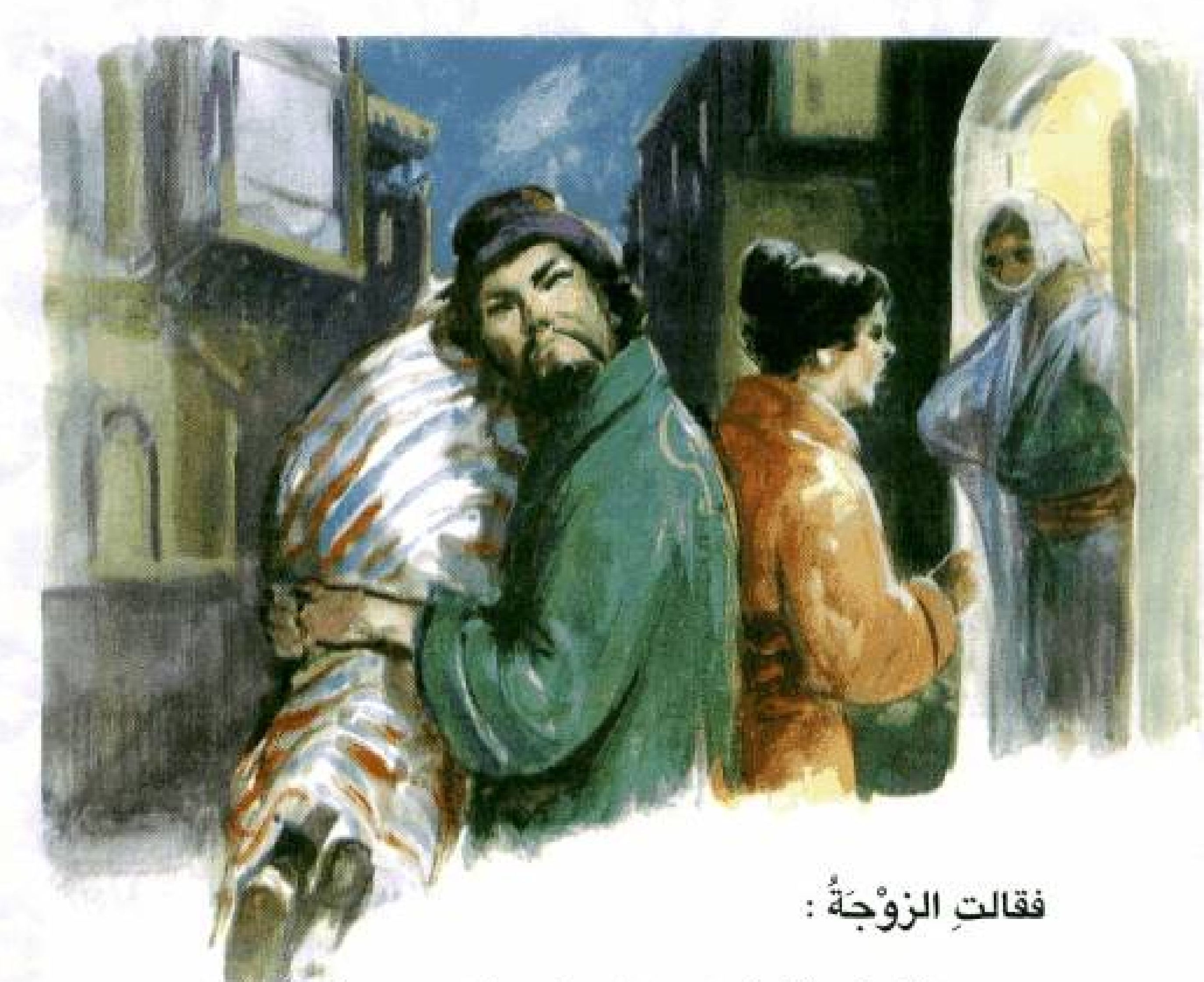
ـ لقدْ قتَلْتِ ذلك المهرِّجَ الْمِسْكينَ بمِزَاحِكِ ..

فقالَتِ الزوْجَةُ :

ـ مـا قـتَـلَهُ إلاَّ أجَلُهُ ، لوْ لمْ يكُنْ أَجَلُهُ قـدْ حَـانَ لمْ تكُنْ هذه الْقِطْعَةُ منَ السمكِ لِتَقْتُلَهُ ..

وبْعدَ أنْ هدأَتِ الأُمورُ قليلاً ، قالَ الخياطُ لِزَوْجَتِهِ :

ـ مـاذا نفعَلُ فى هذه الْمُصِيبَةِ ، التى وقعَتْ على رُءُوسِنا وقْعَ الصَّـاعِقَـةِ ؟! لو اكْتَـشَـفَتِ الشُرطةُ أَننا قَـتَلْنَاهُ قـتَلُونا بِهِ ..



فقالتِ الزوْجَةُ :

ـ سَنتخَلَّصُ مِنْهُ بأَسْرعَ مِمَّا تتَصَوَّرُ ، ولا مَنْ رَأَى أَوْ سَمِعَ ..

فقالَ الْخياطُ :

ـ كيْفَ نحمِلُ قتيلاً ونَمْشِي به في الطُّرُقاتِ ، دوُنَ أَنْ يُفْطِنَ إلَيْنا أَحدٌ ؟!

فقالتِ الزوجَةُ :

ـ قمْ فاحْمِلْ هذا الأحْدَبَ الضئيلَ ، وضُمَّهُ إلى صَدْرِكَ ، كأنَّهُ

ولدكَ الْمريضُ ، وسوْفَ أغطِّيه بفُوطةٍ ، وأَسيرُ أمَامكَ ، وكلَّما قابَلكَ أحدٌ ، فقُلْ : هذا ولَدِى الْمريضُ وهذه أُمُّهُ ، ونحنُ ذاهِبانِ به إلى طَبيبٍ لِيُداوِيه ..

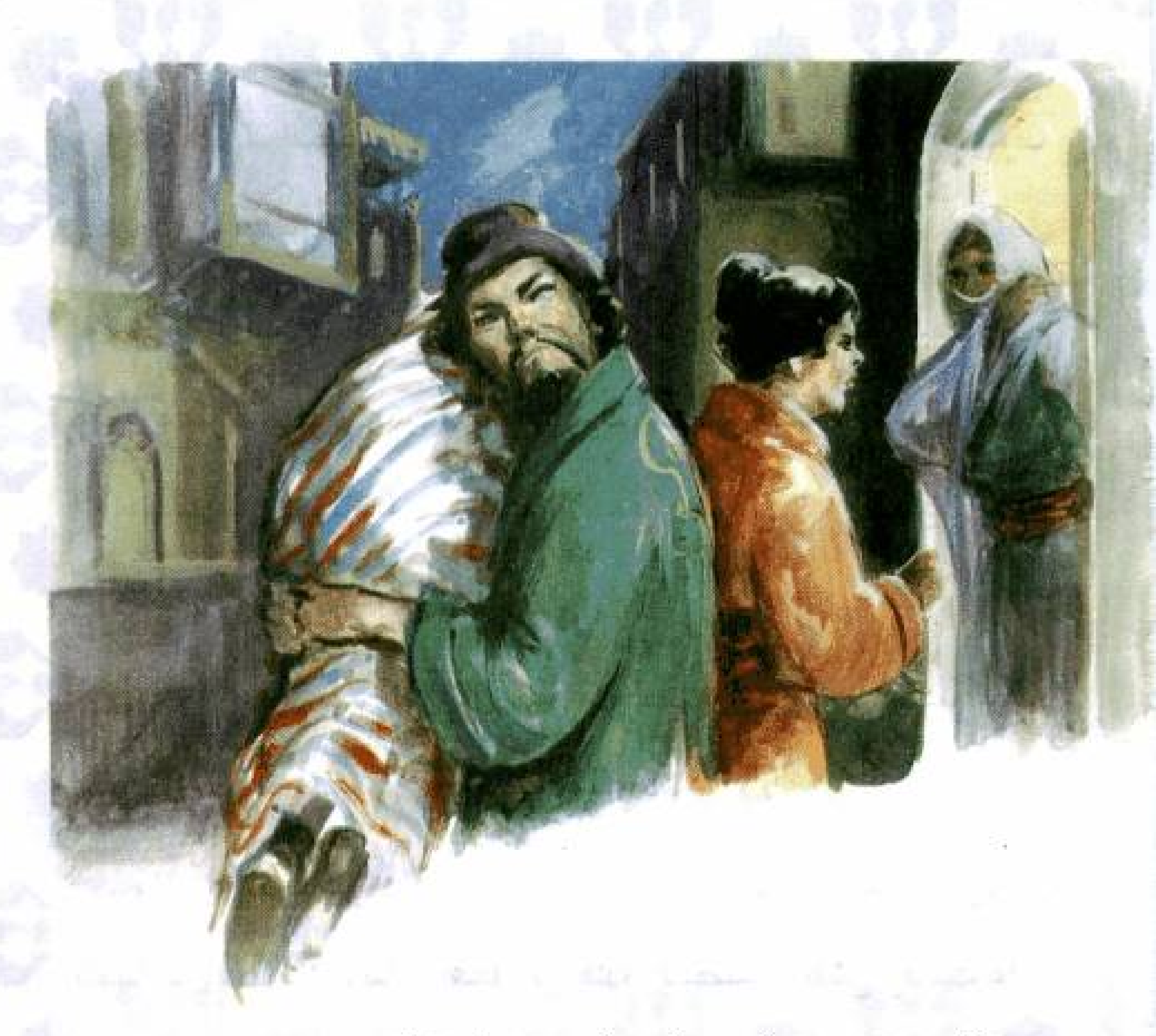
فنَهضَ الْخياطُ وحملَ الأَحْدبَ فى حِضْنِه وضَمَّهُ إلى صدْرِه ، وسارَتْ زوْجَتُه أمامَهُ صارِخَةً مُوَلْوِلَةً كلما رأتْ أحدًا يقْترِبُ منْهمْ ، وراحَتْ تقُولُ :

ـ يا ولَدى .. يا فِلْذَةَ كَبِدى .. منْ أينَ جاءكَ هذا الْجُدَرِىُّ اللَّعينُ ؟!

فكلُّ منْ رأى الْخياطَ وزَوْجَتَهُ على هذه الْحالِ ظنَّ أنَّ معهُما طِفلاً مَريضًا بالْجُدَرِىِّ ..

وظلَّ الخياطُ وزوْجَتُهُ يسألانِ عَنْ مَنْزلِ طبيبٍ ، حتى دلَّهُما الْمارَّةُ على منْزلِ طبيبٍ يَهُودىٍّ ، فلما وصَلا إلَيْه طرقَا الْبابَ ، فنزَلَتْ جارِيَةٌ سَوْدَاءُ ، وفتَحتْ لهما الْبابَ ، وسألَتْ عنِ الْخبرِ ، فقالتْ لها زوْجَةُ الْخياطِ :

ـ معَنا طِفْلٌ مَريضٌ ، ونُريدُ أنْ يفْحَصَهُ الطَّبيبُ .. خذِى هذا الدِّينارَ وأَعْطِهِ لسيِّدِكِ ، حتى ينْزِلَ ويَفْحَصَهُ ..



فَأَفْسَحَتْ لهما الْجاريةُ الطَّريقَ ، وأَدْخَلَتْهُما .. ثم توجَّهَتْ إلى الطَّابقِ الْعُلْوِيِّ مِنَ الْمنزِلِ ، لِتُنادِيَ الطَّبيبَ ..

وبِمُجَرَّدِ اخْتِفاءِ الْجارِيَةِ قالتْ زَوْجَةُ الخيَّاطِ لِزَوْجِها :

ـ أَسْنِدْ ذلكَ المهرِّجَ الأَحْدَبَ إلى الْحائِطِ ، وهيَّا بنا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الطَّبيبُ ، ويكْتَشِفَ أَنهُ ميِّتٌ ..

وهكذا تركَ الْخياطُ وزَوْجَتُهُ الأَحْدبَ الْميتَ فى منْزِلِ الطَّبيبِ الْيهودِىِّ وانْصرفا مُسْرِعَيْن ..

وفرحَ الطَّبيبُ الْيهودِىُّ بالدِّينارِ الذى أعطَتْهُ إيَّاهُ الْجاريَةُ، ونزلَ مُسْرعًا ، ليَفْحصَ الْمريضَ ، فتعثَّرَ فى جُثَّةِ الأحْدبِ الْميِّتِ الْمُسْتَنِدِ إلى الْحائطِ ، فسَقَطَ الأحْدَبُ على الأرضِ مُحْدِثًا دَوِيًا هَائلاً ..

فلما رأى الطَّبيبُ ذلك مالَ على الأَحْدَبِ ليفْحَصَهُ ، فوَجَدَهُ جُثَّةً هَامِدةً لا حياةَ فيها ولا حَرَكَةَ ، فصاحَ فَزِعًا :

- يا إلَهَ السَّماواتِ والأَرْضِ ، لقدْ تعَثَّرْتُ فى ذلكَ الْمريضِ الْمِسْكِينِ فقَتَلْتُهُ .. ماذا أَفْعلُ فى هذه الْمصِيبَةِ التى وقَعَتْ على رأْسِى ؟!

وحَملَ الطبيبُ اليهودِىُّ جثَّةَ المهرِّجِ الأحْدَبِ ، فصعِدَ بها إلى زَوْجَتِهِ ، وحكَى لها ما حَدثَ ، وأنَّهُ قتلهُ ، دونَ قصْدٍ مِنْهُ ..

فلما سَمِعتْ زوْجَتُه ذلكَ فَزِعَتْ ، وقالَتْ له :

- وهلْ تَنْتَظرُ حتى يطْلُعَ النَّهارُ ، وهذا الْقتيلُ فى بَيْتِنا ،



فتَأْتِى الشُّرْطَةُ ، وتأْخُذُنا

إلى الْقاضِى ، ليَشْنُقَنا به ؟!

فقالَ لها الطَّبيبُ :

- وماذا نَفْعلُ فى هذه الْمُصيبَةِ ؟!

فقالَتِ الزَّوْجَةُ :

- قمْ بنا لِنَصْعَدَ به إلى السَّطْح ، ونُلْقِى بهِ فى بَيْت جَارِنَا ، فإنَّهُ الْمَسْئُولُ عنْ مخزنِ مَطْبخِ الْمَلِك ، وكَثيرًا ما تقْفِزُ الْقِطَطُ

والكِلابُ إلى مَخْزنِهِ لتأكلَ اللَّحْمَ ، فنحْنُ نضْمَنُ بذلكَ أنْ تأكُلَهُ الكِلابُ ، ولا مَنْ رأى أوْ سَمعَ ..

فحملَ الْيهودِيُّ وزَوْجَتُهُ جُثَّةَ الأحْدبِ ، وصَعِدا به إلى السَّطْحِ ، فأنْزلاهُ فى فِنَاءِ مخزنِ جَارِهما ، وسَنَداهُ إلى الْحائِطِ ، ثمَّ عادا إلى داخلِ بَيْتِهِما ، وكأنَّ شيْئًا لمْ يكُنْ ..

ولمْ يكَدْ يَحْدُثُ ذلكَ حتى جاءَ خازِنُ مَطْبخِ الْملِكِ ودخلَ الْمخْزَنَ ، فلمَّا رأى المهرِّجَ الأحْدَبَ مُسْتَنِدًا إلى حَائِطِ الْمخْزَنِ ظنَّهُ لِصًا ، وقالَ فى نفْسِهِ :

ـ هذا هوَ اللِّصُ الذى يسْرقُ اللَّحْمَ كلَّ لَيْلَةٍ ، وأَنا أَظُنُّ أنَّ الْقِطَطَ والْكِلابَ هى التى تقْفِزُ مِنَ الْفِناءِ وتسْرِقُها .. لقدْ حانَ أجَلُكَ أيُّها اللِّصُّ ..

وأَمْسكَ خازِنُ الْمطْبَخِ مِطْرَقَةً وضربَ بها الأَحْدَبَ على ظَهْرِهِ ، فسَقطَ علَى الأرْضِ ، وظنَّ الْخازِنُ أنَّهُ هو الذى قتلَهُ ، فقالَ فى خَوْفٍ :

ـ لقدْ قتَلْتُ ذلِكَ اللِّصَّ البائِسَ ، ولا بُدَّ أنْ أُخْرِجَ جثَّتَهُ مِنْ هُنا ،



حتى لا أُقْتَلَ بسَبَبِهِ .. لعَنَ اللَّهُ اللُّصُوصَ أَمْثَالَكَ ..

وانْتَظرَ الخازِنُ ، حتى آخِرَ اللَّيلِ ، فحمل الأَحْدَبَ على ظَهْرِه ، وخرجَ بهِ في الظَّلامِ ، فسارَ به حَذِرًا في شوارِعِ الْمدِينةِ ، حتى وصلَ إلى السُّوق ، فأسنَدَهُ إلى بابِ دُكانٍ وانْصَرفَ ..

وفي ذلكَ الْوَقْتِ مَرَّ أَحدُ التجَّارِ بالسُّوقِ ، فلمَّا رأى الأَحْدَبَ مُسْتَنِدًا

إلى بابِ الدكّانِ ظنَّهُ لِصًا ، يُحاوِلُ فتْحَ الْبابِ ، فانْهالَ علَيْه لكْمًا ، حتى سقَط على الأرْضِ ، واسْتمرَّ فى ركْلِهِ ، وهو يَصيحُ :

ـ لِصٌّ .. لِصٌّ .. أيُّها الْحراسُ .. لِصٌّ يسْرِقُ الدُّكانَ ..

وسَمِعَ حارسُ السُّوقِ صِياحَ التَّاجِرِ ، فتوَجَّهَ إليْهِ ورأى التَّاجِرَ وهو يَضْرِبُ الأَحْدَبَ ، فتقَدَّمَ الحَارِسُ لِيُمْسِكَ بالأحْدبِ ، فوجَدَهُ ميِّتًا ، فقالَ للتاجِرِ :

ـ لقدْ قتلْتَهُ ولا بُدَّ أنْ آخُذَكَ إلى رئِيسِ الشُّرْطَةِ ..

وقبَضَ الْحارسُ على التَّاجِرِ فكَبَّلَهُ بالْقُيُودِ ، ثم نادَى زمِيلَهُ فحمَلَ الأحْدَبَ ، وسارُوا إلى دِيوانِ رَئِيسِ الشرْطَةِ ..

وفى الْيَوْمِ التَّالِى ، أَصْدَرَ رئِيسُ الشُّرْطَةِ أمْرَهُ بأَنْ يُنَفَّذَ حكْمُ الْموْتِ شَنْقًا فى التاجر قاتِلِ الأَحْدَبِ ، وأَمَر أنْ تُنْصَبَ الْمِشْنَقَةُ فى مَيْدانٍ عامٍّ وأَمر المُنَادِينَ أنْ يُنادُوا فى النَّاسِ حتى يَحْضُرُوا تَنْفيذَ حُكْمِ الإِعْدامِ فى التَّاجِرِ الذى قَتلَ المهرِّجَ الأَحْدَبَ فى السُّوقِ ..

وحانَتْ ساعَةُ تَنفْيذِ الحُكْمِ ، فصَعِدَ التَّاجِرُ إلى الْمِشْنَقَةِ ، ووضَعَ الحُراسُ الْحبْلَ حوْلَ رقَبَتِهِ ، وقبْلَ أَنْ يُصْدِرَ رَئِيسُ



الْحُراسِ إشارتَهُ لِتَنْفيذِ الْحكمِ بلَحْظةٍ ، سَمعَ الْجميعُ صوْتَ خازِنِ مَطْبَخِ الْملِكِ وهو يقُولُ :

ـ أَرْجوكُمْ ، لا تَقْتلُوا هذا التَّاجِرَ الْبَرِيءَ ، فأَنَا الذى قتلْتُ المهرِّجَ الأحْدَبَ ..

علَتِ الدَّهْشَـةُ وُجُـوهَ الْجـمـيعِ ، وتقـدَّمَ الخَـازِنُ إلى رئيسِ الشُّرطْة ، الذى بادَرَهُ بقَوْلِهِ :

ـ ولكنْ كيْفَ قتلْتَهُ ، وبأىِّ ذَنْبٍ قَتَلْتَه ؟!

فحكَى الْخازِنُ أَنهُ ضبطهُ فى مَخْزنِ اللَّحْمِ ، مُتلَبسًا بالسَّرقةِ ، وأَنهُ ضربَه بمِطْرَقةٍ على ظَهْرِه فقَتلهُ ، ثم حملَه إلى السُّوقِ ، وأوْقَفه أمامَ بابِ الْحانُوتِ ..

فلمَّا سمعَ رئيسُ الشرْطَةِ كلاَمَ الْخازِنِ واعْترافَهُ ، أَمَر بإطْلاقِ سَراحِ التَّاجرِ ، ورفعَ الخَازِنَ إلى الْمِشْنَقَةِ ..

وهكذا وضَعَ الْحراسُ حبْلَ الْمِشْنَقَةِ حوْلَ رقَبةِ الْخازِنِ ..

وقَبلَ أَنْ يُصْدرَ رئيسُ الشُّرْطَةِ إشَارتَهُ بتَنْفِيذِ الحُكْمِ فى الْخازِنِ ، ظهَر الطَّبيبُ اليَهُودىُّ ، وهو يَشُقُّ الزِّحامَ نحْوَ رئيسِ الشُّرْطةِ صائحًا :

- أرْجُوكَ أَوْقِفْ تَنْفيذَ هذا الْحُكْمِ ، فأنا الْقاتِلُ الْحقيقىُّ ..

علَتِ الدَّهْشَةُ وُجُوهْ الْجميعِ ، وصاحَ رئيسُ الشرْطةِ :

- وكَيْفَ قتلْتَهُ ، ولماذا ؟!

فحكىَ الطَّبيبُ اليَهودِىُّ ما حدَثَ له معَ الأَحْدَبِ بالتَّمامِ والْكَمالِ ، وأَمَر رئيسُ الشُّرْطةِ بإطْلاقِ سَراحِ الْخازنِ ، وشَنْقِ اليَهُودِىِّ مَكانَهُ ..



حملَ الْحراسُ اليَهودِىَّ إلى المِشْنَقَةِ ، بعْدَ أنْ أنْزلُوا مِنْهاالْخَازِنَ ، واسْتَعَدُّوا لِتَنْفيذِ الحُكْمِ ..

وفى تلْكَ اللَّحظَةِ ظهرَتْ مُفاجَأَةٌ جَديدةٌ ، أذْهلَتْ جَميعَ الْحاضِرينَ ، فقدْ ظهرَ الْخياطُ فى اللَّحْظَةِ الْمناسِبَة وصاحَ :

ـ أَوْقِفوا هذا الْعَبثَ .. أنا قاتِلُ الْمهرِّجِ الأحْدبِ ، وهذا الطَّبيبُ بَرىءٌ مِنْه ..

علَتِ الدَّهْشَةُ والذُّهولُ وُجُوهَ الْجميعِ ، بَيْنما أخذَ الخيَّاطُ

يحْكى ما حَدثَ مُنْذُ الْتِقَائِهِ بالأَحْدَبِ ، وحتَّى ماتَ بشَوْكَةِ السَّمَكِ ، وكيْفَ حمَلَهُ إلى بَيْتِ الطَّبيبِ الْيهودِيِّ وتركَهُ هُناكَ ميِّتًا ..

كادَ رئيسُ الشرْطَةِ يُجَنُّ منْ عَجَبِ ما رَأى وسَمِعَ ، وأصْدَرَ أَمْرَهُ إلى الْحراسِ قائِلاً :

ـ أَرْجو أنْ يكُونَ هذا الْخيَّاطُ هو آخرُ الْقَتَلَةِ .. أَطْلِقوا سَرَاحَ الْيهودِيِّ واشْنُقُوا الْخيَّاطَ ..

ولكنْ ما حَدثَ بعْدَ ذلك كانَ أكثَرَ غرابَةً ، وأشَدَّ دهْشَةً ، فما إنْ صَعِدَ الحراسُ بالخيَّاطِ إلى المِشْنَقَةِ ، ووضَعُوا الْحَبْلَ حوْلَ رقَبَتِه ، حتى جاءَ رسولٌ منَ الْملِكِ ، فأخْبَر رئيسَ الشرْطَةِ أنْ يوقِفَ هذه الْمَهْزَلَةَ ، وأنْ يُحْمَلَ جُثْمانُ الأَحْدَبِ معَ قاتِليهِ الأرْبَعَةِ إلى قصْرِ الْملِكِ ، لأنَّ الْملكَ ، سيُحَقِّقُ فى هذه الْقَضِيَّةِ الْغامِضَةِ بنَفْسِهِ ..

تُرى ما هِيَ الْعَلاَقَةُ بيْنَ الْملِكِ والأحْدَبِ ؟! وما هُوَ سِرُّ اهْتِمامِهِ لِيُحَقِّقَ فى الْقضِيَّةِ بِنَفْسِهِ ؟!

(يتبع)

رقم الإيداع : ٥٥٢٤ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى ٤ ،٥٩٦ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧